



المنهج التوليدي التحولي

وهو من المناهج الحديثة في دراسة اللغة وينسب المنهج التوليدي إلى اللغوي نعوم جومسكي، المولود في أمريكا سنة ١٩١٨م، وقد حاول جومسكي أن يُصحح مسار سوسير الذي اقتصر على السطح اللغوي وكأنَّ العملية الكلامية شيء آلي لا يرتبط بما موجود في داخل الإنسان من عوالم عقلية وشعورية.

لذا فإنَّه قسّم الكلام الإنساني على قسمين:

١. البنية السطحية للكلام: وهو ما ينطقه الإنسان فعلا.
٢. البنية العميقة للكلام: وهو ما يجري في أعماق الإنسان ساعة التكلم فيدفعه إلى تفضيل هذه الصيغة أو ذلك التركيب، ومعناه: أن اللغة التي ننطق بها تكون تحتها عمليات عقلية عميقة.

ودراسة بنية السطح تقدم التفسير الصوتي للغة، أما دراسة البنية العميقة فنقدّم التفسير الدلالي لها.

أهم روافد فكر جومسكي

١ . تأثر بمدرسة ديكرت العقلانية التي اتخذت من المنطق والعقل أساساً لتحليل الظواهر الاجتماعية، والفكر هو الذي يؤدي إلى تحليل معرفة الحقائق وإثباتها.

٢ . تأثر جومسكي بالتراث اللغوي العربي، ولاسيما ما جاء عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في (نظرية النظم)، فجومسكي على الرغم من انتمائه إلى الديانة اليهودية إلا أنه قد اطلع على التراث اللغوي العربي عن طريق والده الذي كان من رجال الدين اليهود، وهو يعرف العربية معرفة جيدة؛ لأنّ نحو العبرية تمت صياغته لأول مرة في الأندلس على غرار نحو العربية، ومن مظاهر تأثره بنحو العربية هو ظهور النزعة المنطقية في منهجه، وهو بهذا يقترب من الدراسة اللغوية العربية في التعليل والقياس والمنطق والجدل.

أهم أفكار جومسكي

١ . البنية السطحية والبنية العميقة:

يرى جومسكي أنّ الكلام هو قواعد تركيبية وأشكال مجردة نظرية، يستعملها المتكلم بشكل انسيابي؛ لأنه يطبق قواعد اللغة النظرية، وإن الذي يولده يكون على مستويين: مستوى ظاهري: وهو ما ينطقه وهو نسق من الدوال.

ومستوى باطني: عميق يتعلق بالقضايا المعنوية التي يشترك فيها أبناء اللغة جميعهم.

٢ . التحويل والتوليد:

التحويل: هو العلم الذي يدرس العلاقات القائمة بين مختلف عناصر الجملة، وكذلك العلاقات بين الجمل الممكنة في لغة ما، ويعود إلى هاريس وهو أستاذ جومسكي وإليه تعود النظرية التحويلية في اللغة.

والتوليد: هو علم يرى أنّ في وسع أية لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترد بالفعل في اللغة، ويعود التوليد إلى جومسكي، وإليه تعود النظرية التوليدية في اللغة.

٣. **القدرة (الكفاية):** هي معرفة المتكلم أو المستمع المثالي بلغته منذ الطفولة، والتي تسمح له بتوليد جمل جديدة لم يسبق له أن سمع بها، ونعتها جومسكي بأنها مفهوم مجرد قائم في الذهن، وهي بمثابة نظام مجرد مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناه من الجمل الممكنة.

٤. الانجاز اللغوي (الأداء الكلامي)

يراد به الاستعمال الفعلي للقدرة اللغوية، أي تحقيق الكفاءة اللغوية في جمل وأقوال يمكن ملاحظتها بكيفية مباشرة ملموسة.

٥. النحو الكلي:

ويراد به معرفة الآليات والعلاقات الجامعة والموحدة بين الأنحاء الخاصة والرابطة فيما بينها.

المنهج التوليدي التحويلي في التراث العربي

توافرت سمات أساسية من المنهج التوليدي التحويلي في فكر النحاة العرب القدماء، ولعل من أبرزها.

١. ظاهرة الأصل والفرع في النحو العربي:

تطرق النحاة إلى هذه الظاهرة وبحثوا فيها كثيرًا، فالنكرة عندهم أصل والمعرفة فرع، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرعان عليه، والمذكر أصل والمؤنث فرع، وقالوا إنّ أصل

(قال . قول) و(اصطبر . اصتبر)، هكذا يبحث النحاة العرب عن الأصل ويتابعون تحوله، وتولد الفرع عنه.

٢. ومن مظاهر التحويل والتوليد عند النحاة العرب هو ولعهم بالتعليل، إذ لم يكتفوا ولم يفتتوا بالبنية السطحية للغة، بل بحثوا عما وراءها من علل وأسباب، فالمضاف عندهم على نوعين، بمعنى (اللام) وبمعنى (من)، ثم حذف حرف الجر وقام المضاف مقامه، فعمل الجر في المضاف إليه كما يعمل حرف الجر، مثلاً: (كتب زيد) على رأي النحاة على تقدير حرف جر هو اللام، أصل الكتاب (كتاب لزيد)، إذ حذف حرف الجر وأقيم المضاف مقامه.

٣. التقدير والتأويل من أبرز ملامح المنهج التحويلي في تفكير النحاة العرب، إذ لم يقفوا عند التركيب الملفوظ أو المكتوب؛ بل أخذوا يقدرون ويؤولون في كثير من المواطن، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى.

أمثلة تطبيقية للتوليد والتحويل

تقع الجملة عندهم على قسمين: (اسمية و فعلية)، وهي بعد ذلك إما توليدية اسمية وإما توليدية فعلية.

والجملة التوليدية هي التي تسمى بـ (النواة) أو (الجملة الأصل) أو (الجملة الخام) التي تؤدي معنى اسنادياً بسيطاً.

وقد يطرأ تغييراً على التوليدية الاسمية أو الفعلية فتصبح تحويلية، والجملة التوليدية تكون لغرض الإخبار، أما التحويلية فتكون لمعنى جديد تحوّل عن المعنى الذي كان للجملة التوليدية، فالتحويل يكون لغرض يتعلق بالمعنى.

. الدرسُ نافعٌ

هذه جملة توليدية اسمية، يمكن أن تتحول إلى جملة تحويلية اسمية بزيادة (كان)، فنقول:

. كان الدرسُ نافعًا

فقد نُقل معناها من كون اتصاف الدرس بالنتفع إلى كون هذا النتفع قد حصل في الزمن الماضي، وإذا قلنا:

. أكان الدرسُ نافعًا

أصبح في الجملة عنصران من عناصر التحويل هما (الهمزة) و(كان)، وقد تحول معنى الجملة بسبب العنصرين إلى السؤال عن حصول النتفع في الزمن الماضي، وإذا قلنا:

نافعُ الدرسُ

فإنها جملة تحويلية اسمية، وعنصر التحويل فيها هو تقديم الخبر على المبتدأ؛ لأن المتكلم مهتم به، وراغب في تسليط الضوء عليه، وهذا ما جعله ينقله من مكانه الطبيعي على مكان الصدارة في الجملة.

موقف الباحثين العرب المحدثين من المنهج التوليدي

يرى بعض الباحثين أنّ التوليدية لم تظهر عند العرب المحدثين إلا في بداية السبعينيات من القرن العشرين، ويمكن تفسير ذلك بسبب طغيان النزعة الوصفية على الفكر اللغوي العربي آنذاك، ولعل من أبرز الذين كتبوا في بنيات اللغة على غرار المنهج التوليدي هم (الدكتور خليل أحمد عمارة، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، والدكتور مازن الوعر) .

١. الدكتور خليل أحمد عمارة

يعد الدكتور خليل عمايرة من أبرز علماء اللغة في العصر الحديث، ومن أبرز الأعلام الذين ينتمون إلى التيار التوليدي في ثقافتنا العربية.

وللدكتور خليل عمايرة مؤلفات عدة، ولعل من أهمها كتاب (في نحو اللغة وتراكيبها)، إذ يحمل عددا من الأفكار التوليدية التي تحتاج إلى كثير من المناقشة والتحليل.

وقد حاول الدكتور خليل عمايرة دراسة الأساليب اللغوية في ضوء نتائج علم اللغة الحديث ومعطياته، وفكرة الكتاب المركزية هي (إبراز المعنى الذي تتضمنه التراكيب)، وقد حاول الدكتور خليل عمايرة أن يوجد تفسيراً للدلالة اللغوية في الجملة من داخلها، وفق منهج وصفي يلغي القول بنظرية العامل في النحو العربي، فوجد في النظرية التوليدية التحويلية بعض الأسس التي يمكن من خلالها وصف التراكيب اللغوية وتفسيرها، إلا أنه قد خالف النظرة التوليدية التحويلية في بعض المواطن منها:

١. استخدامه لبعض المصطلحات التوليدية بمفاهيم جديدة.

٢. عرضه لبعض القضايا في ضوء الفكرة التوليدية بطريقة مختلفة عما يراه تشومسكي.

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام الدكتور خليل عمايرة بالمعنى جعله يعده النواة التي ينطلق منها لإعادة ترتيب مباحث النحو العربي وأبوابه، عن طريق جمع التراكيب الجملية المحولة في عدد من الأبواب الكبرى على أساس المعنى وليس على أساس العمل والعامل.

٢. الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري

وهو من أبرز الباحثين العرب المحدثين الذين تبنا الاتجاه التوليدي، وله مؤلفات بهذا الصدد، ومن أبرز ما جاء به تبنيه (النظرية المعيارية الموسعة) في كتابه (اللسانيات واللغة العربية).

والنظرية المعيارية أو (الإنموذج المعياري) ما أراد به جومسكي تداركه من نظريته التي وجّه إليها الانتقاد، فبعدما فصل جومسكي بين النحو والمعنى عدل عن موقفه ودعا إلى (إدراج المكون الدلالي ضمن إنموذجه المعياري) ثم قام بإدراج المعجم في المكون الأساسي للمكون التركيبي.

أما الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري فإنه دعا إلى (النظرية المعيارية الموسعة) وهي التي تذهب إلى أنَّ للبنية السطحية أثر في التأويل الدلالي وبخاصة في النبر والتنغيم والتضمين وغيرها، فقد عالج الدكتور عبد القادر العديد من القضايا النحوية من خلال النظرية المعيارية الموسعة، وأهمها قضية الرتبة في الجملة العربية، وقد توصل إلى تصنيف اللغة العربية في صنف اللغات التي تبني جملها على الفعل.

المراجع

- مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسّان
- المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب
- العربية والبحث اللغوي المعاصر، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، د. نعمة رحيم العزاوي
- الاتجاه التوليدي في النحو العربي الحديث دراسة في فكر خليل أحمد عمارة، زكموط بوبكر (رسالة ماجستير).